رواية

الفانوس.

نادية كرومي

2023

الإهداء:

إلى أبناء غزة الذين حملوا راية الإسلام كي يحاربوا المستعمر الصهيوني، أهدي هذا الكتاب ،و إلي كل مسلم لزال يحمل في قلبه الوفاء والإحترام **لكلمة التوحيد،** راجية من المولى أن يحرر كل البلدان العربية التي لزالت تعاني من وطأ الإستعمار.

نادية كرومي

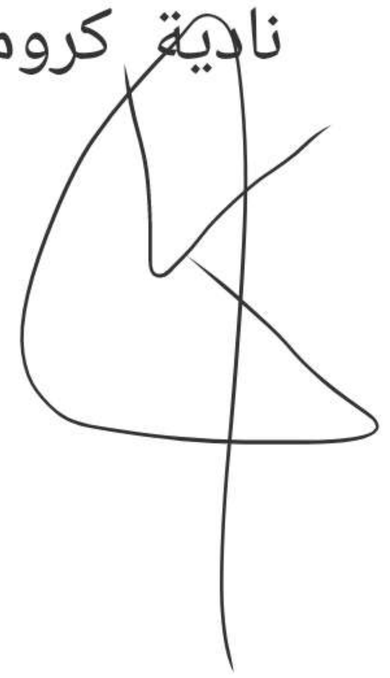

الجزء الأول..

أتعلمين يا عزيزتي كم كان صعبا علي أن أعرف من لله؟
كنت رجلا لا يضاهيه رجل، قاسيا لدرجة أن كل من كان يراني في البار كان يخاف مني، فقد كنت أقصد هذا المكان فقط لتناول شرابي الكحولي المفضل "الفودكا" ، الذي اعتدت تناوله مع عائلتي في الماضي ، نادرا ما كنت أشرب الشمبانيا التي كانت تنسيني كل شيء عانيته في حياتي ؛ذكريات الطفولة الحزينة ،و مشاكل والداي التي لم تكن تنتهي أبدا .

كنت أقصد بعد ثملي كل ليلة منزل فتاة لم يكن يهمني حينها إن كانت عزباء أم متزوجة أم مطلقة، لأن هدفي كان في ذلك الوقت منحصرا فقط في ممارسة علاقة محرمة، لإطفاء ما لدي من مشاعر الحب التي لطالما كنت بحاجة لها، لأني كنت أشعر أني غير مرغوب في ذلك المجتمع، بسبب إدماني على الكحول وهذا ما كان يجعلني أشعر باليأس بين الحين والأخر.

ورغم أن عادتنا نحن الأروبيون كانت السكر حد الثمالة وممارسة علاقة محرمة إلا أن هدفي كان الهروب من ذلك الواقع المرير الذي كنت أعيشه .

لم أكن أعرف شيء عن طريق الخطيئة لكن سرعان ما انجرفت إليه بسبب رفقتي السيئة، التي لم تجلب لي سوى

التعب والإرهاق والضياع والندم بعد سنين ، لأني كنت

مشغولا بعلاقاتي المزيفة التي كنت أمارسها يوميا مع نساء أجنبيات، كن يأتين إلى البار لقضاء وقت مع صديقاتهن وربما لاستطياد رجل.

أذكر أنني كنت ألتحف تلك الأغطية البيضاء كل ليلة رفقة امرأة أجنبية وأنا في قمة الثمالة، أحاول تمالك نفسي بصعوبة كبيرة بينما هي تحاول إغرائي وأخذ الكثير من المال مقابل ذلك، كانت عملية تجارية كبيرة.

ورغم أنني كنت أرى نفسي الأفضل بين كل الرجال، في تلك الفترة إلا أنني أعترف أني كنت في الواقع أوسخ رجل عرفته أروبا وفرنسا بالتحديد، ليس لأني كنت أشرب الخمر فقط بل لأني كنت أعمى، وأغبى أيضا.

كان فقري للمشاعر سببا في زيادة فقري للمال، فقد كنت كلما فعلت شيء لا يرضي لله زادني بعدا عنه سبحانه.

لكن رغم كل شيء إلا أني حصلت على رحمة لله سبحانه وكانت بوادر ذلك لقائي بك أمام كتدرائية نوتردام دو باري، فكانت أجمل ذكرى في حياتي كلها ،وكأن لله سبحانه سمع مناجاتي، فأرسلك إلي لتنقذيني من خطر الوقوع في المتاهة.

كنت مسيحيا يهوى الكنائس، لأن والداي كانا مسحيين، ورغم أني كنت أسمع منذ صغري أشياءا كثيرة عن العذراء وسيدنا المسيح عليهما السلام إلا أنني لم أكن أعرف شيء عن عالم النور.

كيف أعرف ذلك وأنا الذي كان مدمنا على شرب الخمر طوال الوقت ؟

لكن رغم كل شيء حدث لي إلا أنني استطعت بعد سنين طويلة أن أدرك أني لست في الطريق الصحيح وينبغي علي النظر في ذلك ،لذلك حين جلست معك أول مرة في الفاتح من مارس من سنة2000 ،أمام كتدرائية نوتدرودام دو باري،

أيقنت أن هناك حقا إختلاف لطالما جذبني إليك ، ولربما كان سبب تعلقي بك أيضا ، و الشيء الوحيد الذي كنت أبحث عنه طوال السنين التي مضت .

لا أعلم حقا، لكن حتما كان ذلك سبب هدايتي، لأنك كنت بالنسبة لي الملاك الطاهر الذي أتاني على هيئة بشر كي يلقنني درسا قاسيا عن الحياة ،فكنت كلما تحدثت رمقتك بنظرة خاطفة ،لم تكن نظرة حب بقدر ما كانت نظرة اكتشاف لك ولكل شيء كان يصدر منك من افعال واقوال .

كان أول لقاء لي بك يجعلني أتذكر صورة مريم العذراء عليها السلام طوال الوقت، ورغم أني لم أكن أعرف لما أنا أرى ذلك بأم عيناي إلا أني أشك أني كنت سعيد، ورغم سعادتي تلك إلا أنه كان يعتريني شعور غريب لم أستطيع فهمه البتة وكأنه شعور جديد لم يأتيني قط من قبل، لأني لم أكن أنتمي لهذا العالم الذي أسكنه الآن وأنا مسلم ،ولكن أتاني لأني كنت أبحث عنه منذ زمن طويل.

هذا ما جعل أسئلتي كثيرة بقدر كثافة فضولي، في بداية الأمر لأني لم أكن أعرف من أنت؟

ولماذا أنت كذلك؟

ولماذا لست كغيرك؟

ولماذا تختلفين كثيرا عن غيرك؟

ولماذا تتميزين بطهارة جسدك وروحك، وأفعالك وكأنك ملاك نزل من السماء .

هل حدث ذلك معي فقط لكي يلقنني لله سبحانه وتعالى درسا عن الطهارة وعن الحب الحقيقي أم أنها مجرد صدفة فقط ؟

حين رأيتك لم تسكت أناي فقط عن الحديث بل سكت كل شيء في حضرتك ،وأعلن عقلي هو الآخر الحديث على طريقته، فجعل يفكر في وضع خطط جديدة لكسب قلبك الذي بات هدفي الوحيد بعد أن كان كسبي للمال هدفي الأهم من كل شيء.

ولاشك أن ذلك ما جعلني أجزم أن الإسلام لا يعني التشدد والتعصب مثلما يدعي المشككون فيه، بل يعني الحرية والإحترام والنظافة والطهارة الخلقية والخلقية للبشر..

حينها فقط بدأت قناعتي باعتناق الإسلام تزيد لأني عرفت بعد زمن طويل معنى الحرية التي سلبت مني منذ زمن لأني كنت فقير، والتي جعلت مني مدمنا وسكير، فبدأت البحث في هذا الدين ،الذي لم يفرق بين البشر من حيث لون البشرة

ولا من حيث الأرزاق، فكان يساوي بين الخادم والأمير، فزاد حبي وتعلقي به .

أذكر أني كنت أحب التحديق في النجوم ،فكنت أرقبها من بعيد وهي تلمع وتبرق في السماء، لتهدينا باقة رائعة من الجمال الإلاهي، لأن والدي كان يحب ذلك، وبدأ أول إكتشاف شخصي لي لذلك حين أهداني منظارا في عيد ميلادي السادس، وصار يعلمني استخدامه كلما جلسنا سويا، وهكذا تعلمت بسرعة استخدامه وصار بعد ذلك عادة في ،فكنت كلما زرت مكتبة اقتنيت كتابا يتحدث عن ذلك كي أعرف أكثر عن هذا العالم العجيب والساحر بالنسبة لي.

فكنت كلما قرأت كتابا يتحدث عن الفضاء اقتربت من تحقيق أمنيتي التي كانت تتمثل في اكتشافه، وهذا ما جعلني أحب بشدة أن أكون رائد فضاء في المستقبل كي أعرف أكثر عن ذلك العالم، لكن سرعان ما تغير العالم من حولي فصار قاسيا جدا بعد سفري أبي إلى أمريكا وزواجه المفاجئ من فتاة أمريكية تدعى إزابيل؛كانت سكريته الخاصة، وعشيقته أيضا، وبعد ذلك زوجته الثانية التي تركنا من أجلها.

كان انتقال أبي للعيش في أمريكا جد قاسيا على أمي، خاصة وهي مريضة إكتئاب، فلم تكون المسكينة تنام قبل أن تأخذ أقراصا مهدئة كي تهدئ من روعها ومن غضبها، ولعلها أيضا كانت تقضي وقتها في البكاء على غيابه ، وعلى خيانته لها، بينما كنت أنا أدرس في جامعة كومبيس لأجل الحصول على شهادة تخرج تأهلني كي أحصل على منصب بسيط، أستطيع من خلاله الحصول على أجر يساعدني على سد بعض النفاقات التي كانت علي خاصة تلك التي كان أبي يسددها قبل انتقاله ..

ورغم أن المال كان هو هدفي الوحيد من دراستي وعملي بعد ذلك إلا أني لم أكن مرتاحا أبدا حين تخرجت وعملت في إحدى المؤسسات كسكرتير، لأني كنت أريد أن أرتبط من فتاة جميلة وفاتنة ،لكن الفتايات في فرنسا كن يهوين الرجل الغني الذي يستطيع أن يلبي طلباتهن، وهذا ما كان يجعلني غير مرتاح طوال الوقت، خاصة حين كنت أرى أصدقائي وزملائي في العمل رفقة فتيات جميلات، كنت أزداد تعصيبا، فكان لا يشفي غليلي إلا تجرع القليل من الكحول، فكنت لا أغادر البار إلا وأنا في حد الثمالة، لعلي بذلك أنسى ما عانيت من هموم في بعض الفترات من حياتي.

فقد وصل بي الإدمان على المشروب الكحولي إلى درجة إهمال كل شيء كان يخصني؛ فقد أصبحت في حال يرثى لها؛ لا أهتم إلا بسعادتي المؤقتة تلك التي حولتني من رجل نزيه إلى مشرد يمشي في الشوارع ليلا يهتف بكلمات لا يعرف أحد معناها ؛ ولولا رحمة ربي علي لكنت منذ زمن طويل جثة هامدة في إحدى المقابر.

رغم يأسي منذ سنين طويلة إلا أني حين رأيتك يا عزيزتي أول مرة تغير كل شيء من حولي ، حينها فقط أدركت أن الجمال الحقيقي موجود في الروح وليس في الجسد، و أن الغنى الحقيقي هو التوحيد فقط الذي لزال يتجاهل وجوده الكثيرون في السنوات الأخيرة، لكن حين حدث ذلك معي كان متأخرا جدا، لأني كنت في تلك الفترة طريح فراش في إحدى المستشفيات بسبب مرض السرطان الذي أصابني بصفة مفاجأة بسبب ممارستي للعلاقات المحرمة التي كنت أمارسها أنذاك يوميا بعد ثملي مع نساء مجهولات،

لذلك وجب علي القيام بعملية جراحية للتخلص من نشاط الخلايا السراطنية في جسدي.

حينها فقط أدركت أن ما جاء به القرأن حقيقة وليس هراء مثل يدعي المشكيكون فيه ، ولو كانت العلاقات مباحة وغير ضارة للرجل قبل

الزواج لفعلها المسلمون الأولون وبذلك كانت محاولاتي لمعرفة الكثير من الأجوبة على أسئلتي عن لله سبحانه، الذي كنت كلما قرأت أية من كتابه الكريم زدت تعلقا به سبحانه، لأني كنت ألمس وجوده معي، وفي كل شخص أحبه.

كيف لا وأنا الذي كان مغمض العينين لا يعرف شيئا عنه رغم ثقافتي الواسعة، فقد كنت أتبع أسلوب المفكرين الأروبين وأمشي علي خطاهم ،لأني كنت أحسب أن كل من يملك ديبلوما أكاديميا هو مثقف وعالم، لكن سرعان ما تغيرت فكرتي عن العلم والثقافة، وكان ذلك بعد فتحي للمصحف الشريف في يوم 15 نوفمبر من عام 2001 ، حين

كنت برفقتي في مسجد باريس الكبير بعد نطقي للشهادتين في شهر رمضان الكريم ، حين كانت أول سورة لي أقراها هي سورة الفاتحة التي لم أرى مثلها في حياتي لا في الإنجيل ولا في أي كتاب مقدس آخر، سورة عظيمة، تنزل الرحمة على قارئها كلما قرأها، وتشفيه من كل مرض بإذن لله تعالى.

أعلم أنك أجمل شيء أملكه يا عزيزتي ، لكن أشك أن هناك أجمل من تلك اللحظات التي كنت أعيشها في المسجد، وأنا أسجد لله سبحانه وتعالى كي يغفر لي ما فعلت، لم أكن أعلم إن استجيب لدعواتي أم لا، لكن ما كنت أعرفه فقط

هو أني قد ولدت من جديد، وكأن جسدي سكنته الملائكة فبلغ درجة من الطهر لم يكن لي فرصة أن أعرفها لولا اعتناقي للإسلام، فكان ثغري كلما نبض قلبي ابتسم ابتسامة بريئة، لم أرى مثلها في حياتي كلها ،لأنها كانت نتيجة بلوغي درجة عالية من السعادة والراحة والطمأنينة ، لأني كنت كلما حدقت في ذلك الجمع الغفير من المصلين اللذين كانوا يصلون من حولي في الزاوية؛ كنت أشعر أني طاهر من كل شيء قد يوقعني مستقبلا في الخطيئة ، لأني كنت أشعر بأني رجل جديد بنسخة جديدة لا يشبه الرجل القديم بشيء، ذلك الذي كان يهاب القواعد والقوانين، ويهرب من همومه ليذهب لفعل المحرمات ،التي قد تحرمه من شيء عظيم، لن يعادل الأشياء الأخرى مهما بلغت عظمتها لأنه يتمثل في معرفة لله سبحانه، وإدراك عظمته وقدرته في خلق الكون.

ولعل ذلك ما جعل الفضول ينتابني كثيرا لمعرفة كل شيء عن الإسلام، لكن لله لم يتركني وحيدا فأرسلك إلي، كي تساعديني على فعل ذلك .

ولولا براءتك وصدقك معي يا ساندرا ، ما كنت سأعرف معنى الحب الحقيقي، فحبك لي كان يزيد كلما علمتني شيء عن الإسلام، وكلما حدقت في عينيك تذكرت تعريفك للحب:

الحب هو أن نجعل من نحب أقرب إلى الله سبحانه، لأن العلاقة الحقيقية بين المحبين هي تلك التي يرضى بها الله وعباده الصالحين، فحين تحب المرأة رجلا لا تهديه هدية اشترتها بثمن باهض كي تعبر له عن مشاعرها القوية تجاهه بل تكتفي بالدعاء له في ظهر الغيب لأن الدعاء للحبيب هو أجمل هدية تقدمها الزوجة والحبيبة لزوجها، لأنه يجعل الحب بينهما أقوى.

أذكر أني كنت رجلا ماديا بمعنىّ الكلمة، لا أعرف ماذا كنت أفعل كي أجذب النساء ،لكن الأمر الحقيقي من كل هذا كله أنهن كن يلتقينني بعد ثملي لأجل قضاء وقت معاهن؛ كنت أقضي ذلك الوقت معاهن فقط لإرضاء كبريائي، لا لأجل شيء آخر لأني كنت أشعر بوحدة شديدة، كدت أنسى بسببها من أنا؟ ولماذا وجدت في هذا العالم؟

ربما تبادر في ذهني ملايين المرات محاولة قتل نفسي بسبب طموحاتي المادية التي لم أصل لها يوما بسبب بعدي عن لله سبحانه..

كنت حقا نسيا منسيا، لا أعرف من أنا ولا يعرفني الطرف الآخر ولا يأبه لوجودي حتى، لكن حين رأيتك وتحدثت إليك رأيت مساوئي كلها وأدركت أخيرا أني مهما بلغت من كل ذلك

حتما سأكون بكامل وعي في يوم من الأيام جاهزا كي أتقبل بكل رحابة صدر وقناعة ما وهبني لله، لأنه ذلك قدر محتم، ولأن الله سبحانه وتعالى لم يترك عبدا يناجيه إلا أتاه من حيث لا يحتسب.

كنت أحسب أن الهدايا تلك التي تشترى في رأس عيد الميلاد، وفي عيد الفلاتين فقط، لكن حين التقيتك علمت أنها ليست جامدة فقط، بل إنها في الحقيقة خالدة بخلود ذكريات الشخص الذي نحبه في ذاكرتنا ..

فكان أجمل ما رأيت فيك يا حبيبتي نصحك وتوجيهك لي حين كنت أقع في الخطيئة، ما كنت حبيبا فقط بالنسبة إليك ولا عشيقا مثلما كنت أعتقد بل كنت مسؤولية كبيرة وضعت على عاتقك، لأنك كنت المقصودة لفعل ذلك، ولم يكن ذلك عبثيا مطلقا.

كم كان جميلا ذلك الحب الذي كان مجزءا بين عيوني في كل ليلة كنت أقضيها معك يا عزيزتي، بعدما تزوجتك، صار الحب في عيوني حب مقسم، نصفه الأكبر لله سبحانه لأني عرفته بعد مدة و النصف الآخر الذي بقي كان لكي أنت، لأن لله سبحانه وتعالى أرسلك لي بعد سنين طوال كي تقيضني من قيلولتي وتقريبني منه.

فقد كنت أحسب أن النساء فقط تلك اللاتي تمنحن الحب

لكن لله لم يتركني أعاني رغم أني كنت كافرا، فأنزل رحمته علي، وأرسلك لي كي تريني الطريق الصحيح ، ولولاك لما أصبحت مسلما بعد سنين من الجهل والبأس والمرارة.

أنت الملاك الذي أتاني من لله كهدية، وأيم هدية أحصل عليها بعد زمن طويل من المعاناة .

علمتني كلماتك البريئة والصادقة معنى الصدق ، لم أعرف كمثلها طوال حياتي كلها رغم أني عرفت الكثيرات مثلك إلا أنك كنت الفريدة بينهن ;و لأنك أيضا كنت النور الذي لطالما بحثت عنه في كل مكان كنت أقصده، سبحان الخالق.

حين اعتنقت الإسلام شعرت بشعور غريب لم أشعر به قط، وأنا مسيحي، لا أعلم لما؟

لكني شعرت به حين أصبحت مسلما ، كان شعورا جميلا جدا جمع بين الغبطة والسرور، كنت كلما توضأت كي أصلي دخل جسدي في عالم نوراني نسيت فيه كل شيء، وكأني دخلت إلى غيبوبة طويلة ؛ هي غيبوبة التأمل في خلق الله سبحانه..

أذكر أني أحببت فكرة التأمل منذ صغري، لكن لم أكن أعرف ماذا يعني ذلك حقا؟

حتى صرت مسلما، صار لدي القدرة على معرفة ذلك بوضوح فأصبح كل شيء أمامي مصدرا للإكتشاف والتأمل، حينها فقط أدركت أن له مكانة كبيرة في حياتنا ولولاه لما عرف الأنبياء والمرسلون الله، لأنهم كانوا يلبثون بعيدا عن أهلهم فقط كي يتأملوا في خلقه .

حين كنت أمارس التأمل وأنا صغير لم يكن يجذبني شيء غير تلك المصابيح التي كانت تزين السماء، فكنت ألبث طويلا فوق التراس أحدق فيها بكل ذهول، وكان الخيال حينها يذهب بي بعيدا جدا بغية اكتشاف خالق هذه السماء والنجوم والكون كله..

وبعد تفكير طويل جدا في ذلك ،أيقنت أن اكتشاف ذلك شيء يجب علي فعله من دون تأخير لأني بت مقتنعا بضرورة فعل ذلك، وما إن فكرت فيه حتى جمعتني الصدفة بك، وكأن لله سبحانه يسير لي الأمور لمعرفته

أليست الأرواح جنود؟

بلى هي كذلك ولولا ذلك ما كنت أنت جنديتي ومنقذتي أيضا..

أحمد لله أنه جعلك في قدري كي تنقذيني من الظلمات

وتريني طريق النور.

صحيح أني مستغرب مما حدث معي ،لكن رغم ذلك إلا أني أيقنت أخيرا أن الله ييسير لعبده المشتاق معرفته كلما ألح العبد على فعل ذلك، حتى لو كان بعيدا عنه.

أشعر أني كنت في دوامة طوالا هذه السنين التي مضت..

كنت أتساءل كثيرا عن معنى الله، والخالق حين كنت أقرأ الإنجيل ،فكنت أقلب صفحاته بفضول كبير في كل ليلة، كي أعرف معنى التوحيد، لكن رغم بحثي المعمق إلا أني لم أجد ما يجعلني أقتنع ، رغم أني كنت أرتاح كثيرا حين كنت أزور زوايا الكنيسة في كل يوم أحد .

ورغم عناء البحث إلا أني لم أتذوق ذوق الفرحة بوصولي للهدف إلا حين حملت المصحف الشريف، حينها فقط أيقنت أن للتوحيد معاني كثيرة ، لذلك لم توقفني أبدا مخاوفي وظللت أبحث حتى فهمت جيدا كل شيء.

لذلك حين اعتنقت الإسلام انتباني شعور غريب جدا ، لعله الشعور بأني كنت ضائع وينبغي علي العودة إلي الطريق الصحيح وهو طريق الله سبحانه، وها أنا أجدني مجددا وهذا كان أجمل شعور في حياتي، لأني لم أعرف مثله أبدا طوال السنين التي مضت، فقد كان مختلفا بالنسبة لي كمسلم جديد ،خاصة حين سمعت صوت تلاوة القرآن الكريم بصوت الشيخ البلوشي، الذي كان شيخي المفضل، جزاه لله خيرا.

أذكر أني حين دخلت أول مرة للمسجد لبثت طويلا في مكاني لا أعرف شيء عن المكان ولا عن أهله ،لأني كنت أتمعن زواياه في ذهول ولعلي كنت أقارن بينه وبين الكنيسة التي كنت أقصدها في الماضي ، يبدو أنني لم أرى ولن أرى أبدا بمثل هذا الجمال الذي أراه في المسجد لأنه بيت الله سبحانه، هناك أدركت حقا لماذا يأتي مئات المصلين كي يأدوا صلاوتهم؟

لم يكن الأمر سهلا علي يا عزيزتي، لكن حين دخلت ذلك المكان تذكرت وصفك له حين تحدثنا في آخر لقاء لنا قبل زفافنا، حين سألتك عن مكانك المفضل، فأجبتني مبتسمة:

mon endroit préféré c'est la mosquée ;

il est la maison d'Allah.

أعجبتني كثيرا تلك الجملة التي وصفت لي فيها المسجد، فجاءت هرولة في ذاكرتي، وحين دخلت مذهولا، استطاعت أن تهدئني، لكني رغم ذلك إل أني ضللت أتساءل :

كيف سأحدث هؤلاء المصليين وأنا لا أتقن جيدا اللغة العربية؟

فقد كان أصعب شيء أفعله أنذاك.

ولحسن حظي كنت بجانبي، لم تتركيني ولو للحظة ،فكنت كلما شعرت بقلقي أمسكت بيدي، وهمست في أذني بكلماتك البريئة ورمقتني بنظراتك الخاطفة..

صدقا، يا حبيبتي كان يوما حافلا بالنجاحات ، فنجاحي الأول هو إسلامي والثاني هو أنت.

أذكر أني حين وقفت أمام ذلك الشيخ، الذي كان يرتدي قميصا أبيض ويضع عمامة خضراء فوق رأسه خفت كثيرا، لا أعلم لما ؟فبينما كان هو يدعوني بكل محبة للدخول للمسجد،

كانت قدماي ترتجفان وكأني مقدم على فعل شيء سيء، كنت أعجب من هول الموقف وكلما زاد تعجبي زادت أسئلتي:

ترى ماذا يقول لي هذا الرجل؟

لماذا يبتسم في وجهي وهو لا يعرف شيء عني؟.

ولو عرف من أنا حقا؟

هل كان سيدعوني للدخول؟

عجبت حقا لترحيبه تلك:

إجلس يا بني رجاءا ،مرحبا بك.

كانت هذه الجملة غامضة بالنسبة لي، فهمست أنت في أذني وقلت لي:

Il vous demande de s'assoir

mon cher.

حينها أومأت لك قائلا:

ok, merci ma chère.

ثم جلست أمامه، أنظر إليه بكل ذهول، أرمقه بإعجاب تارة وتارة بتعجب، لا أدري لما ربما لأني كنت معتادا على رؤية الرهبان في الكنيسة والبابهات، ثم قال لي :

ردد معي يا بني .

أشهد أن لا إله إلا لله محمد رسول لله.

فهمست ثانية في أذني :

Répète les mêmes mots mon cher.

ok.

Ecoute je vais l'interpréter à toi ok pour que tu puisses la prononcer en arabe:

Je temoigne qu'il n'y a pas d'autre dieu qu'Allah

Et je temoigne que Muhammad est le messager d'Allah.

أشهد أن لا إله إلا لله محمد رسول لله.

كان نطقي للشهادة أشبه بتسلق لجبال عالية جدا، لم أكن أعرف من قبل ما معناها إلا حين نطقتها وشرحتها لي بالفرنسية ، لأني لم أكن أقوى على نطقها، ولولا إسراري لأخذ الأمر مني سنينا طويلة، أليست هي الفرق بين المسلم والكافر ؟

حين نطقتها يا عزيزتي شعرت بثقل ذنوبي وبندمي الشديد على ما فعلت، خشيت أن أموت فألقى إلاهي، فأعجز على إجابته على أسئلته سبحانه ، فانفطر قلبي حينها، وفاضت دموعي مثل الوديان، فأحسست أنه لن يغفر لي أبدا لأني مشيت في طريق المحرمات.

حينها فقط أدركت أهمية التوحيد في حياة الإنسان، وصدقت أخيرا ما قال المسلمين عن دينهم حين خرج كبار المشكيكن والكارهين للإسلام يرسمون صورا كريكاتورية للرسول محمد عليه أفضل الصلاة والسلام في الشوارع، حين ردت عليهم أمة محمد عليه أفضل الصلاة والسلام :

إن الإسلام أكبر بكثير من أن يهان، لأنه دين التوحيد الذي وحد به الله بين كل الأمم ،والذي كتب عنه في كل الكتب المقدسة، كما أنه مهما قيل عنه سيبقى الدين الذين يتبعه

البشر في آخر الزمان لأن لله قدر له الحفظ والبقاء لحكمة لا يعلمها إلا هو سبحانه .

كما أن القرأن في رأي العلماء هو الكتاب الوحيد الذي اختاره الله لنبيه الكريم محمد عليه أفضل الصلاة والسلام، كي يريه للبشرية على أنه إعجاز إلاهي، لن يقدر أبدا الطغاة ولو حاولوا على خلق واحد مثله حتى لو ملكوا ما ملكوا من القوة والنفوذ ،لأنه كلام الله الذي أخبرنا فيه عن كل شيء خلقه في الكون، وعن أنبيائه، وعن الأمم السابقة، وعن قوانين الحياة، وعن ما سيحدث في السنوات القادمة، وهذا دليل واضح على أنه لا يوجد كتاب مثله مفصل بدقة، ولو وجد ما كان الرسول محمد صلى لله عليه وسلم أن يكون خاتما للأنبياء، لأنه خير دليل على استكمال سيدنا محمد صلى عليه وسلم رسالة التوحيد التي أرسله الله من أجلها.

لذلك كانت كلمة التوحيد ولتزال مقدسة، وأهم شيء يجب أن نحافظ عليه أيم الحفاظ، في زمن الجهل الديني.
ولو كان هناك شيء أغلى منه للبث الرسول الكريم محمد عليه أفضل الصلاة والسلام يفعله لسنين طويلة في حياته، ولما ظل يدعو المسلمين بضرورة الحفاظ عليه ، لأنه كان

يعلم أيم العلم أنه سيأتي زمن لا تصارع فيه البشر بالأسلحة وإنما تصارع فيه بوسائل غير ملموسة لا يمكن إقافها إلا بقراءة القرآن وبالرقى الشرعية وأداء الصلاة.

أذكر أني كنت من محبي الأفلام الخيالية، خاصة تلك التي لها علاقة بالسحر مثل: سلسلة هاري بوتار، التي كنت مدمنا على مشاهدتها لأني كنت أحب أن أعيش في عالم الخيال لبعض الوقت كي أنسى الواقع، لكني لم أعرف ما هدف كاتبها ولا ممثليه إلا حين اعتقنت الإسلام، لأني لم أكن مهتما لا بالأديان ولا بالمعتقدات، و كل ما كان يهمني هو متابعة أحداث تلك القصة، فكنت أشاهدها كل يوم، وكنت كلما جلست لمشاهدتها تحمست كثيرا لفعل ذلك لأني كنت معجبا بشدة بهولاء الغلمان الذين كانوا يؤدون دور السحرة في المدرسة ، ربما هذا ما كان سبب في حفظي لكلمات بعض الممثلين لهذه السلسلة ، دون أن أعلم أن ذلك ينتمي للمتعقدات اليهود، لأني كنت مسيحي ، ولم يكن في معتقدي ما يحرم مشاهدة الأفلام الخيالية ، لكن سرعان ما اختفى إدماني تلك حين اعتنقت الإسلام.

لأني عرفت معنى الحياة، جيدا حين صرت مسلما، لأن الإسلام لم يحررني فقط من ظلم المجتمع، ولكنه علمني

أيضا أن الوقت جد مهم في حياتنا ويجب أن نستخدمه في القيام بالأعمال الخيرية التي تكون في ميزان حساناتنا لا في فعل المنكرات.

لذلك كان اعتناقي للإسلام عن قناعة، ولولا فعلي ذلك لما كنت سأرضى بكل شيء يأتيني بعد ذلك منك، ككتابك الأول عن الإسلام الذي عنونته **"من لله** ؟" الذي ساعدني كثيرا على معرفة الكثير عن الدين الإسلامي، وربما هذا ما حفزني أيضا أكثر على تقبل كل شيء حدث معي في تلك الفترة ،

فحين كنت أقلب صفحاته كنت أشعر بسعادة تغمرني لأني كنت أفهم وأستوعب الأمور بشكل جيد، ليس لأنك كنت الكاتبة التي كتبته، بل لأن ما كتبته عن وجود لله سبحانه وتعالى أثار إعجابي كثيرا يا عزيزتي، وربما كان دافعا قويا لي في تلك الفترة كي أدخل لعالم النور وأنسى كل الظلام الذي كان يطمس كل معاني الحب والجمال في حياتي .

صحيح أن لقائي بك قد أثر في بعض الشيء أول مرة لأني كنت رجلا غير شريف ، لكن حين قرأت ما كتبتي عن وجود لله علمت أني مخطيء ويجب علي أن أغير من طريقة تفكيري من كافر وزير نساء، لمسلم ورجل شريف، يبحث عن

معنى الطهارة والشرف وعن كيفية تصحيح أخطائه في كل شيء يفعله ، وصحيح أن سعادتي باكتشاف ذلك كانت تزداد كلما قلبت صفحة من صفحات كتابك، وكأنني كنت أزور مدينة أثرية قديمة مفقودة منذ زمن طويل بالنسبة لزوارها، لكن سعادتي بوجودك كانت أكبر في الوقت ذاته، لأنك كنت جنديتي وملكتي الطاهرة التي علمتني الكثير عن الإسلام.

أتعرفين يا حبيبتي كم كنت أشعر بالحزن حين كنت بعيدا عن لله؟

كنت أشعر دائما أن هناك شيء ينقصني لم أكن أعرف ما هو؟ ، لكن حين اعتنقت الإسلام شعرت بالسلام الروحي وصار كل شيء بالنسبة لي سهل لأني شعرت أخيرا بالطمأنينة والراحة النفسية التي كنت بحاجة لها قبل سنين مضت.

أذكر أنني حين قرأت كتابك عن الإسلام اقتنعت بضرورة البحث في هذا الدين، وفي الوقت ذاته أحببتك بشدة، لكني لم أرد الإعلان عن ذلك لك؛ لأني كنت مترددا قليلا للإعتراف، وربما لأني علمت أن الحب الحقيقي في الدين الإسلامي ذلك الذي يكون بعد الزواج فقط ،فقررت حينها أن ألزم الصمت وأن أتعامل معك كصديقة فقط، وفعلا كنا نلتقي سويا لأجل

تعلم دروس عن الإسلام مثلما وعدتني، فلم أشعر بمرور الأيام حتى مرت بسرعة، واعتنقت الإسلام، وكنت أسعد رجل في العالم.

كان يوم اعتناقي للإسلام يوما تاريخيا في حياتي، فذهبت ركضا إلى البيت كي أخبر والداي بما حدث، لكن سرعان ما حدث ذلك غضب مني والداي كثيرا وطردوني منه خوفا مني لأني أصبحت مسلم، كانت كلمات أمي لي جارحة:

Ecoute Arise, je suis désolée, mais il faut que tu parts maintenant .

Quoi?

Oui, car tu es musulman maintenant, nous ne voulons pas un musulman entre nous.

كان وقع كلمات أمي علي قاسيا جدا لكن حمدت الله كثيرا لأنه عوضني بك، فكنت كلما مشيت خطوة إلى الأمام تراءت لي ابتسامتك البريئة فزادت من قوة إيماني ،ورغم جروحي إلا أني حملت حقيبتي ومشيت بثبات ثم جلست في مكان غير بعيد عن بيتي وجعلت أتصل بك ربما خففت من جروحي تلك..

Bnjr ma belle, je ne ressens pas bien, je voulais t'entendre ma chère.

Bnjr mon cher, j'espère que tout va bien chez toi.

non ma belle, tout est perturbé, j'ai quitté ma maison car ma mère m'a demandé ça car j'ai devenue musulman et je n'ai pas une place dans sa maison.

oh! je suis vraiment désoléemon cher..

Q u'es ce que tu veux faire maintenant ?

Je ne sais pas?

Je suis en recherche d'une maison à louer.

لم أتمالك نفسي حين اتصلت بك حينها فانهالت دموعي كالوديان وصرت أتلعثم في الكلام فأيقنت حينها أني يجب أن أقطع الإتصال فتحججت بالعمل:

Ecoute ma chère j'ai beaucoup de baulots, il faut que je parts maintenant,

nous nous discutons après.

كانت نفسيتي في حاجة لك لكنني لم أريد لقائك بي لأني لم أكن مستعدا لأريك أغيس الضعيف الذي لم تريه ولو لمرة في حياتك، لكن يبدو أنك شعرت بحاجتي لك فقلت لي في خضم تلك الفوضى التي أحدثتها وأنا أتحدث عن مشاكلي تارة وأتحجج بالعمل تارة أخرى:

Ecoute mon cher je vais te rencontrer, ne parts pas maintenant, ok nous allons trouver une solution ensemble ok..

Je t'aime.

لم أكن أعلم وأنا في تلك الحال أني سأشعر براحة واطمئنان في نفسي بمجرد اتصال واحد منك يا عزيزتي، أنت حقا ملاكي الذي لن يتركني ولو صار العالم كله ضدي..

أنت حقا رائعة يا جنديتي لا تسعني الحروف ولا الكلمات لوصفك، وأعلم جيدا أني عاجز على وصفك وقول ذلك لك مباشرة ، لست فقط في مواجهة مع المجتمع لكني أيضا في مواجهة كبرى معك، مختلفة ويانعة أنت، روحك كصحراء بزخارف البيادير الخضراء، حية كل الوقت..

بينما كانت روحي ترسمك وتلون كل شيء فيك برزت كنجمة

ساطعة من بين السحاب، أه لو أحضرولي نجمة حقيقية من السماء في تلك الفترة لما كانت ستشبهك يا عزيزتي لأنك الفريدة والوحيدة في شخصك يا ثريتي..

حين اقتربت مني حدقت في عينيك بجنون عاشق لكني ترددت كثيراً في قول ذلك، كيف سأقول ذلك لك وأنت لست كأية فتاة أعرفها، حينها تمالكت نفسي واستجمعت قوتي ثم ابتسمت وقلت لك بعنفوان:

تراك أتيت كنت أظنك تمزحين حين قلت لي أنك ستأتين.

لماذا تسرين دائما على قتل قلبي بحضورك المفاجئ ؟

أنا لم أفاجئك يا عزيزتي لقد قلت لك أني سأتي.

بلى لقائك مفاجئ، وجودك في حياتي مفاجئ.

نظرت في عينياي بدهشة واستغراب وكأنك تريدين استطاني:

هل كنت مفاجأة جميلة أم لا؟

أممم، أظن ذلك..

تظن إذن، أيها المشاغب..

هههه، لماذا تصفنيني بالمشاغب..؟

لأنك كنت رزينا قبل قليل والأن

حين رأيتني أصبحت مشاغب..

لماذا تحولت فجأة؟

أظنك أنت من حولتني..

أنا؟

نعم أنت .

لقد حولتني من رجل شرس وقاسي إلى رجل لطيف ورزين، قيل لي أني صرت جميل أيضا، ما رأيك؟

من قالت لك ذلك؟

أخبرني وإلا قطعت علاقتي بك.

حسنا لا تنزعج يا عزيزتي أنا فقط أمزح وأراقبك إن كنت ستغارين علي أم لا، فلقد قلت لي قبل قليل أنك تحبينني، كنت بصدد اختبارك.

مم اختباري إذن وهل وجدت ما كنت تبحث عنه؟

أرجوك لا تعاقبيني بنظرتك هذه.

إنك تخيفنني.

أنا أخيفك، ولماذا ساخيفك؟

لا أدري يبدوا أنك أنت أيضا قد تحولت.

ههه

هل حولك أغيس أم الحب؟.

كنت أحاول أن أرى ساندرا الآخرى التي تختفي في داخلك فجعلت أمازحك بتلك الطريقة، لم يكن لدي سبب معين لفعل ذلك غير رؤية تلك الإبتسامة المرسومة الآن على شفتيك، لأني كنت سبب قلقك يا عزيزتي..

كانت أسئلتي بالنسبة لك مصدر إحراج لأنك لست كأية فتاة تجيب بكل صراحة على كل سؤال دون أن تفكر، أنت مميزة وذكية في كل شيء تفعلينه، لم أرى مثلك في حياتي كلها..
وددت التقرب منك ملايين المرات لكنك كنت أقوىّ من أن ألمسك بيداي، لأن روحك الطاهرة أنظف من أن تلمسها يداي الوسختين اللتان لمستا عشرات النساء قبلك، أنت ورقة بيضاء الآن أمامي، لست أعرف ماذا سأكتب فيها:
أماضي الذي كان أشبه بقطعة من جمر ملتهبة ،التي كانت تحرقني كلما جلست وحيدا أم مستقبلي الذي لست أراه إلا معك رغم خوفي الشديد من خسارتك ؟
ترى لما نشعر بأننا قد نخسر من نحب حين نحبه بشدة؟
ترى لما كلمة الحب صارت من دون لون في هذا الزمن؟.
لماذا لم نعد نقدر على تلوين حياتنا بألواننا المفضلة؟
ترى لما لم نعد قادرين على المكوث في عالمنا؟.
هل أصبحنا غرباء أم جبناء؟
لا أعلم لما تأتيني هذه الأسئلة الآن؟
يبدو أني لن أنسى بسهولة ما حدث معي في السنين الماضية وما يحدث معي الآن..
لكن رغم كل شيء يوجعني يا حبيبتي إلا أني أشعر بالإكتفاء معك.

يبدو أني لم أعد قادرا على البقاء مع من أحبهم لأنهم تخلوا عني، لكني سأظل معك أنت فقط لأني أشعر معك بالإكتفاء.
حاربت طويلا كي أبرهن للجميع أن إسلامي لن يأذي أحدا لكنهم ظلوا ينعتوني بكلمة حطمت كل معاني الإنسانية والأداب في حياتي:
terroriste.. إرهابي
كنت أحاول أن أجد نفسي من بين هؤلاء لكني لم أقدر، فحين كانت نفسي تهرب بعيدا كنت ترجعينها بابتسامتك البريئة وكلماتك الجميلة، وأسلوبك السلس الذي يشبه مذاق الشوكولاطة..
لا أعلم لما كانوا ينادونني بذلك الإسم رغم أني لم أفعل شيء يأذي الآخرين ،فقد كنت أتبع هدي النبي محمد صل لله عليه وسلم، لكن يبدو أني لن أكون مرتاحا أبدا في هذا البلد الذي علقت فيه صور كريكاتيرية ساخرة للنبي محمد صل لله عليه وسلم .
كيف يمكنني ذلك؟
أنا أشعر أني أتعذب في كل دقيقة أقضيها بين هؤلاء المشكيكين، الذين يريدون تدمير المسلمين، والتنزيل من قيمة الإسلام..

لكن رغم ذلك يا عزيزتي إلا أني كلما رحت بتفكيري في ذلك جاء طيفك يواسيني بابتسامة لطيفة:

ماذا دهاك يا أغيس؟

هل أنت متعب أم ماذا؟

لطالما شعرت بك أمامي، وأحيانا تحومين كالفراشة من حولي .

كنت أظن أن أمي لن تتخلى عني أبدا مهما حدث، لكنها فعلت يا عزيزتي..

لم يبقى لي أحد سواك..

لطالما كان حضن أمي الدافئ يحميني من كل شيء يزعجني حين كنت أشعر بالخوف، كنت أرتمي فيه كي أشعر بالأمان ، وأسفا على حالي، لم يعد مثلما كان..

رغم ذلك سأصبر، لأن الله يجزي الصابرين..

ألم يفارق سيدنا يوسف عليه السلام أهله وبحكمة من لله رجع إليهم؟

نعم هو لله، لن يعجز على فعل شيء سبحانه..

تعلمت منك أن أناجيه حين تسكت كل القلوب عن النبض، وحين تذهب الأرواح إليه.

تعلمت منك أن أدعوه لأنه في تلك الساعات المتأخرة التي كانت في الماضي وقتا غير مهم بالنسبة لي أنها أهم بكثير مما كنت أتخيل؛ كيف وهي التي تجمع بين العبد وربه،

فيسمعه حين يدعوه ويستجيب له لأنه قريب جدا منه .
كنت أحاول الفرار من نفسي ومن كل شيء يألمني، حملت تلك الحقيبة وجعلت أمشي لا أعرف أين وجهتي الموالية، وبينما أنا كذلك حتى سمعت صوتا حنونا يناديني :
أغيس، أغيس، توقف..
ترى من هذه الفتاة التي تناديني بهذه الطريقة هل هي أمي التي طردتني من منزلها أم من؟
كانت ذاكرتي ترشم في كل كلمة نطقتها إسم أمي في ذاكرتي، ظننتها ندمت وتريد إرجاعي إلى منزلها ،لكني سرعان ما رحت مع أحلامي الوردية وعانقتها في فرح وسرور، لمستني يداك لتقضي من حلم لن يتحقق أبدا ولو أردت ذلك.
لطالما عرفت أمي بشخصية حنون ، وبقلب طيب ليس كمثله قلب، لكني خذلت هذه المرة، ويجب علي أن أنسى هذه الصورة الجميلة التي لزالت تسكن ذاكرتي..
كيف تتخلى عن مبادئها وتقاليدها من أجل مسلم متطرف، فهي لم تراني إنسانا مسالما مثل ما أرى نفسي، لطالما كانت خائفة من المسلمين، فحين كانت ترى من بعيد إمرأة محجبة كانت تسبها وتسب دينها، فكيف ستتقبلني وأنا الذي ولدت من صلبها..

كانت جدتي من أمي يهودية، ولم تكن تحب الإختلاط كثيرا مع غيرها، كانت تحب اليهود فقط، لكن أمي اعتنقت المسيحية بسبب زوجها الذي كان مسيحيا، فاشترط عليها قبل زواجها منه، أن تعتنق المسيحية كي يصبحا متشابهين في التفكير وفي المعتقد..

يبدو أني أخذت شيء من أمي وهو التأثر بمعقد من نحبهم، لذلك أحببت الإسلام لأنك أثرت في يا عزيزتي، فأغرمت بكل شيء يخصك..

اقتربت مني فنظرت إلى بينما كنت أحدق إلي عينيك الحزينتين ،محاولا استخلاص قوة مشاعرك تجاهي، يبدو أني أبحرت بعيدا ويجب علي العودة قليلا إلى الوراء للمحافظة على مسافة الأمان بيننا، أخاف إن فعلت شيء يغضبك تبتعدين عني فأعجز على لملمة نفسي..

كيف حالك يا عزيزي؟

ماذا بك؟

هل أنت متعب؟

لا قليلا فقط..

أنا مرتاح يا عزيزتي لأنك معي..

كيف أشعر بالتعب وأنت راحتي؟

أعلم جيدا أنك تحاول أن تنسيني ما أتيت من أجله.
ما الذي أتيت من أجله ؟
ألا تعرف حقا أم أنك تريد معرفة ذلك مني؟
أنا أعرف أنك أتيت من أجلي لكني أردت سماع ذلك منك لأن ذلك يريحني ويريح قلبي..
وهل يمل الإنسان من سماع أخبار تفرحه؟
طيب أخبريني شيئا عنك؟
هل أنت بخير؟
أنا أرى أن بك شيء..
إذا كان ذلك بسببي فأنا أسف جدا لأني جعلتك تحزنين بسببي..
لا تقل ذلك، لست كذلك، لكن أفكر في حل لشخص أحبه..
ابتسمت من صميم قلبي حين نطقت تلك الكلمات لأني أدركت أن لله لم يتركني لوحدي فأرسلك في الوقت المناسب لتكوني سندي والشخص الذي سيعوضني خسارتي..
جميع خسارتنا في الحياة لا تقدر بثمن لكننا نستطيع أن نعوضها بأجمل شيء وبأجمل مخلوقات لله..
لذلك اختارك القدر لتعوضيني خسارتي، التي بات آثارها مرشوما في قلبي..

كنت تعرفين امرأة تقربك تريد كراء بيتها تدعى كلثوم فقلت لي ذلك وأصريت حينها أن أقبل بعرضك لأنه جيد، لم أمتنع يومذاك فذهبت معك وكلي ثقة أنه سيكون بيتا جميلا، ولن ينقصني شيء فيه لأنك أنت من اخترته لي..

دخلنا سويا للبيت رفقة زوج الفتاة كي نرى غرفه، كان بيتا أسطوريا، لا ينقصه شيء، فقبلت بعرضه وأخذت المفاتيح وفي الغد جلبت باقي المستلزمات الخاصة به ، لم يكن سهلا علي أن أترك بيتي الذي ربيت فيه لكني كنت مضطرا على ذلك..

لقد كنت أحسب أن ذلك سيكون سهلا بالنسبة لي، وأني سأتعود على الوحدة بسرعة، لكني أيقنت أن انفصالي عن أعز الناس علي شيء مؤلم جدا، فقد كانت الساعات والدقائق والثواني سنينا بالنسبة لي..

كنت أنام و في كل ليلة يأتيني طيف أمي كي يضع يداه الناعمتين فوق جبيني لأنام، فأنسئ أني في سن الشباب فأغدو للحظات طفلا ذو ست أو سبع سنوات..

حين كنت أشتاق بشدة لها كنت أسمع صوتها المسجل على هاتفي:

mon fils, mon poussin

je t'aime

n'oublies pas ça.

كانت رسالتها الأخيرة قبل شجارنا حين اتصلت بي وأنا في عملي، حينها سألتني عن حالي، وقالت لي ذلك كي تذكرني بحبها الكبير لي.

أي طبيعة خلقت بها الأم ؟

لا أدري ألطف وأرق وأحن من أي شخص، لا تحبك من أجل شيء، وليس لها غاية معينة لفعل ذلك..

هي الحياة بنفسها وإن تجسدت علئ شكل بشري..

لا أعلم لما لا نعرف قيمة الأشخاص إلا حين يتركوننا، ربما لأن الإختبار في هذه الحياة بالنسبة لنا شيء غير مقبول، وربما لن نكون بشر حقيقين إلا حين نختبر، فحياتنا مبنية علىٰ منطق سليم وأساس بناء اختبارات وامتحانات الحياة لنا ، لذلك في كل خطوة لنا نحاول فيها نسيان الزوال، نعود للوراء كي نتذكر أن الجمال في الحياة هو مجرد كلمة لا وجود لها إلا شكلا، ومعناها وهم لا يجب الوثوق به دوما لأنه بقدر ما هو مرئي هو غاوي وخاطف لكل مسلم، لذلك نختبر دائما لمعرفة مدىٰ حبنا للأخرة ولله سبحانه..

حين كنت مسيحيا كانت حياتي أشبه بحلم رائع جدا، وهذا الحلم لم يكون يدوم طويلا سرعان ما أفتح عيناي أصرخ بشدة ذهولي وانصدامي بعالمي الواقعي..

فأغدو كطفل فقد ألاعيبه ،لا أدري لما كنت أعيش هذه الحياة وقتذاك ربما لكثرة جهلي..
لم أكن أقرب للمنطق ولا للحقيقة وجل حياتي كانت وهم وكذب وخداع فقط، لم أكن جادا في شيء، ولا كانت لدي رغبة في أن أكون نافعا في مجتمعي..
والآن وأنا بعيد جدا عن بيتي أتجرع مرارة الألم من جديد لكن هذا الألم له مذاق مختلف عن ذي قبل، ولو ميز على أنه عميق جدا إلا أني محظوظ جدا لأني وجدت الحل في التخلص منه لأني الآن مسلم وجزاء المسلم الصبور هو الجنة، كنت أعرفها ككلمة، لكن الإسلام جعلني أشعر بوجودها في كل آية كنت أقرأها..
ما نفع الألم إن لم يكن اختبارا لنا ولإيماننا بالله ؟
هناك فقط نعرف أننا لسنا وحدين في ذلك المكان، وأن لله هو الوحيد الذي برفقتنا دائما لأنه يعلم ما بنا وليس هناك مخلوق في الكون سيقدر على ذلك غيره.
لذلك يا عزيزتي لقائي بك كان مقدرا وألمي الحالي مقدر لي أيض، لكنه في الوقت ذاته امتحان مؤكد لي ، كي أكون في يقين أن هذه الحياة دار القرار ودار الفرار .

سنفر منها في يوم من الأيام فارغي الأيدي حينها لن يدوم لنا أهلنا ولا أموالنا ولا أي شيء آخر له علاقة بحياتنا.
كانت أمي المرأة الأولى التي علمتني أبجديات الحياة، علمتني أن أكون دوما متفاءلا وأن لا أستسلم تحت أي ظرف كان، كانت امرأة قوية، لا تخشى شيء و كل ما يهمها سعادتنا، لم تكن ترى شيء غير ذلك.
كانت امرأة أقل من يقال عنها مناضلة، اجتهدت كثيرا كي تعلمنا وتدرسنا، لم تبخل علينا يوما باهتمامها..
هي التي إن وضعت جسدي علي الفراش داعبته يداها الناعمتين ، فغفوت وكأني لم أرى في حياتي شيء ، لم أكن أعرف معنى الإشتياق والبرودة في حضنها..
كانت تغني لي دوما بلغة لم أرى كمثلها أبدا، لغة لو اجتمع كل الادباء واللغوين لما ابتكروا مثلها..

Dors mon pousssin..

Dors mon fils..

Aujourd'hui le ciel

est beau et demain

il va pleuvoir..

Sur les arbres..

Et les jardins

on va dessiner

notre amour

pour toujours..

Dors, Dors mon

poussin..

Dors mon poussin

اه! كم اشتقت لصوتك يا حبيبتي، يخال من يسمعني مجنون يستذكر محبوبته، لكنني أستذكرك أنت لأنك بعيدة عني..

وددت لو تلمس يداي يداك فأرتوي حنانا في حضنك كالطفل الصغير لأرمم ما انكسر فأعود من جديد من دون جروح ولا آلام..

لا أستطيع فعل شيء لك لأنك تطلبين شيء مستحيل، لكني أستطيع أن أكون وفيا لك يا أماه إلي الأبد، أنت الوحيدة التي لا أستطيع استبدالها حتى لو أردت ذلك ،لأنك روحي التي تسكن بداخلي.

أنت أيضا يا عزيزتي الملكة التي لا أستطيع عصيانها إلا في ما عصيت لأني صائب وأنت مخطئة.

الإسلام دين عدل وحب يا أمي، لا ينشر الكراهية كما تعتقدين بل ينشر السلام والطمائنينة ، كما أن الله يوجد أينما نكون يا عزيزتي وليس فقط في الكنيسة مثلما تعتقدين

لم تكن فترة انعزالي عن العالم إلا اختبارا لي كي أعرف أخطائي وذنوبي وأحاول تصحيحها، نحن لا نرمم كسورنا ولا نصحح أخطائنا إلا حين نجلس في عزلة عن عالمنا وعن كل شيء يصدر ضجيجا..

لقد عشت سنينا طويلة يا عزيزتي في حضن أمي لا أشكو من شيء ، لكني كنت تائها في فترات تملي في أحضان النساء، ما نفع وجودي بين أهلي إن لم يكن هناك من يريني طريق الصواب؟

أعرف أنني لن أستطيع تغيير ما حدث في الماضي لكني أحاول جاهدا الإبتعاد عن كل شيء أبعدني عن لله.

حين أخرج بين الحين والآخر في أنحاء المدينة كي أجوب ضواحيها وأرى تلك الجثث التي لزالت تنبض في الشوارع من دون هوية ولا مأوى أتذكر نفسي التي ضاعت في الماضي بين الوعي ولا وعي، ليس سهلا بتاتا تجاهل الوجود الإلاهي والبعد عنه، نعم كنت جاهلا وكانت لدي شبه ميتة أنقضتها أنت من الموت فصارت حية بعد مجيئك، كنت أجوب الشوارع ليلا مع نساء لا أعرفهن ثملا، أتمتم بكلمات لا أذكر حتى معناها، وأحيانا أخرى أغني، لم أكن واعيا ولا فطنا في تلك الفترة، كانت حياتي فارغة ليس لها معنى..

لكن حين أتيت أنت وعرفت منك معنى الحياة عدت لصنع

ذكريات جديدة معك، رغم أني في يقين أني سأنسى ما عشت معك لأني مريض سرطان، لست نادما لأني أسلمت يا عزيزتي لأني مرتاح وأنا مؤمن إيمانا يقينيا بوجود لله ،ولا ألوم أحدا على معادته وكرهه لي ، لأن العدو الوحيد الذي أراه سببا في آلالامي الحالية هو تلك الأيام التي مرت علي من دون فعل شيء جيد في حياتي..

هذا الدين الجديد علمني قيمة نفسي وقيمة كل شيء من حولي، علمني أن أنظم كل شيء في حياتي، وأن أهتم بكل تفاصيلها دون الغلو في فعل ذلك، مثلما علمني أن أبتسم لأن الله موجود، وأن أحترم نفسي وغيري وأن أحب غيري حبا صادقا خاليا من الشوائب، لأن الوفاء لمن نحب شيء لا يفعله إلا العظماء..

لقد أيقيت أخيرا يا عزيزتي أني لم ألتق بك صدفة بل كان مقدرا لي ذلك، وأسفا على ماضي الذي لازال يوجعني كلما تذكرته..

أنا لا أنسى كم كنت سعيدا في حضن أمي يوما ولم أنسى كم أرضعتني حنانا وكم سهرت وتعبت كي تسقيني عطفا لكني متألم جدا يا عزيزتي لأني ضعت وضياعي كان مرضا محتما كان يجب علي الشفاء منه بأية وسيلة، ولولا رحمة

ربي علي لما كنت الآن في هذا المكان أحاول ترميم نفسي المرهقة من جروح الماضي.
ربما نستطيع أن نمثل لبعض الوقت السعادة فنكذب على أنفسنا ونعود عقولنا أيضا على ذلك، لكن لا يمكننا أبدا نسيان ما حدث ولا بسبب من حدث ذلك لأنه مستحيل ، لأن ذاكرتنا تستهلك الكثير من الطاقة في استيعاب تلك الأمور، وحين ينتهي ذلك صدفة من دون إنذار تتعب بشكل رهيب لأنها تعرضت لصدمة عصبية وذلك سبب كبير لعزلتنا المفاجأة أحيانا..
لقد مرت أيام عزلتي تلك بسرعة، لم أشعر بمرورها أبدا لكني تعلمت منها كثيرا، كنت في الماضي أخاف إن جلست وحدي لبرهة من الوقت، لكن يبدو أني أصبحت قويا جدا حين اعتنقت الإسلام، ذهبت مخاوفي وتوتري أيضا، فكيف أتوتر وأنا بهذا الإيمان ،لقد أدركت أخيرا أن المال لم يعد يهمني لأن التوحيد الذي لدي الآن أصبح أهم بكثير من المال، كنت أرهق نفسيا طوال الوقت كي أصبح غنيا فتقبلني النساء ويقبلني المجتمع، لطالما كنت مهمشا، ففي مجتمعنا الفرنسي هناك طبقية كبيرة، لم يطفئها شيء حتى بعد مرور سنوات طويلة، لاحظت تغير الرؤساء وتغير الأفكار

وطريقة تطبيق ذلك، لكن لم ألاحظ أبدا تغير تفكير المجتمع، وكنت متيقنا أني لن أقبل ولو بأي شكل في هذا المجتمع.

كنت فقيرا ومدمنا على شرب الخمر؛ ولم تكن لدي أية مؤهلات كي أقبل في مجتمع جاهل رغم ثقافته الواسعة..

كانت تلفت نظري أفكارك الإيجابية دائما، ولم يلفت نظري شيئا أخر لحين زواجي منك، ففحين ذهبت لخطبتك من أبيك لم أكن أملك أموالا طائلة ولا سكنا جيدا، ولكني كنت مسلما، ففرح أباك بذلك، فعجبت لأمره خاصة حين جعل مهرك مصحفا لا أكثر..

حقا لم أكن أعرف شيء بشأن ذلك حتى تزوجتك حينها فقط انهالت علي نعم الله سبحانه وتعالى وبركته، وعم السلام في قلبي وكأني كنت في حلم أو غيبوبة .

كانت أمي لا تزال غاضبة مما فعلت، تراني من بعيد وتذهب هرولة خيفة من أن أراها، رغم ذلك إلا أنني كنت أراها، وكنت أمثل أني لم أرها، فكانت تأتي باكية وتغدو إلى بيتها باكية ،وكنت أنا أبكي أيضا بعد مغادرتها بكاءا شديدا، لكني كنت أقرأ دعاء الحزن، وأحمد الله سبحانه و تعالى على هذا الإمتحان والبلاء الحسن الذي ابتلاني به..

حين مر على زواجنا أنا وساندرا التي كانت من جذور لبنانية

، والتي كانت تقيم في فرنسا هي وعائلتها، حملت بعد فترة من زواجنا، فسمعت أمي بذلك من أخي فيليب الذي رغم أنه كان مسيحي إلا أنه كان يحبني حبا جما ولم يتخلى عني أبدا، فكان يزورني سرا رغم منع أمي له من زيارتي.

فكانت تسأله بين الحين والآخر عني اشتياقا لي، فكان يخبرها بذلك، وحين علمت بحمل زوجتي جاءت لتبارك لنا، وكانت أكبر هدية لي في تلك الفترة، حينها قبلتها قبلة طفل لزال في السن السادسة من عمره، فغمرتني هي الأخرى حنانا وعطفا..

كانت مسرورة للغاية تلمس بطن زوجتي بحنان، وتبارك لها تارة وتارة أخرى تنصحها بالإهتمام بنفسها..

ظلت أمي على ذلك الحال تأتي لزيارتي كل يوم حتى وضعت ساندرا حملها، الذي كان أنثى كنت قد أسميناها " سمية" لأني شعرت في تلك الفترة أن لله قد رفع من قدري بين قومي وغير من حالي وجمعني بأمي وإخوتي بعد زمن طويل، فعادت السعادة لحياتي ثانية..

شهدت أمي كل شيء معي، فكانت تطمئن عني كل يوم وتتصل بي حين تتعذر عن المجيء لسبب ما، وفي يوم من الأيام همست في أذني:

Je vais vous faire un cadeau

كنت مستغربا من حديثها لكنني علمت أن هديتها حتما ستكون أجمل هدية وأيم هدية قد أتلقاها في حياتي، وفي صباح يوم الغد أتت تضع حجابا أخضر وتلبس فستانا طويل تبتسم وكأن ثغرها يخرج منه نور جميل لم أرى كمثله نور، فدخلت علي مبتسمة وصاحت:

Asalam alikom

فرحت كثيرا لمفاجأتها تلك وعانقتها مباركا ومرحبا لها أيضا

ثم قلت لها:

Quel beau cadeau ma chère !

Q'Allah accepte ton Islam Anchallah..

جلسنا نبتسم نحن الأربعة مسرورن بذلك وما هي إلا لحظات حتى رأيتها تسعل سعالا شديد كاد يقتلها، فهرعت أليها علي أساعدها علي إقافه، فجلبت شيء لها كي تشربه، لكن السعال كان شديدا ويبدو أنه لا مفر منه أبدا، ظلت أمي على تلك الحال للحظات ترد السعال بكل قواها لكن السعال كان حادا وقاسيا عليها، فلم تستطع تحمل ذلك فلفظت أنفاسها الأخيرة وتوفيت..

توفيت التي كنت أحلم كل يوم بحضنها، توفيت الأحلام وماتت ولم يعد لحياتي أنيس بعد رحيلها، لكني فرحت كثيرا لأنها أسلمت ..

وهناك فقط أدركت أنه لكل مصيبة دواء رباني يرسله لله لنا كي نعرف ذوق الفرح والسعادة بعد المصائب، ولا يعرف ذلك إلا من كان مؤمنا بلله وتائبا.